

صورة اليهودي في ديوان "حجر وشجر" للشاعر خالد سعيد

د. فادي صقر عصيد

وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، محاضر غير متفرغ – جامعة النجاح الوطنية-
فلسطين

ملخص: يعرض هذا البحث لصورة اليهودي عند أحد الشعراء الإسلاميين الفلسطينيين، وبخاصة في ديوان شجر وحجر للشاعر خالد سعيد، الذي يُعد أحد الشعراء الإسلاميين في فلسطين. وقد **هدف** هذا البحث إلى بيان صورة اليهودي عند هذا الشاعر وبخاصة في ديوان حجر وشجر، والوقوف على ملامح هذه الصورة التي رسمها هذا الديوان لليهودي المحتل، فهو المحتل والمجرم والمرتكب لكل الجرائم بحق أهل الأرض الأصليين، وبيان الجانب الفني والأسلوبي للأشعار التي تضمنت تلك الصورة، وبخاصة السخرية، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل صورة اليهودي في الديوان، ومناقشة ملامح هذه الصورة. وقد خلص البحث إلى **عدد من النتائج** أبرزها: اهتم الشاعر في ديوانه برسم صورة لليهودي الذي يحتل فلسطين، وظهر التنوع في ملامح هذه الصورة؛ حيث ركزت على جرائم المحتل وبيان عدم أحقيته في هذه الأرض المباركة، وكان للجانب الديني أثر واضح في رسم معالم هذه الصورة، كما استخدم الشاعر السخرية لبيان المفارقة في الموقف من اليهود، الذين هم عنده واحد لا فرق بين صقورهم وحمائمهم.

الكلمات المفتاحية: صورة اليهودي، الشعراء الإسلاميين، الاحتلال الصهيوني

The image of the Jew in the collection of (Trees and Stones) for the poet Khalid Saed

Dr Fadi Saqr Assida

The Palestinian ministry of high Education

Palestine

Abstract: This research shows the image of the Jew according to one of the Palestinian Islamic poets Particular in the collection of (Trees and stones) for khaled Saed whom is considered as one of the islamic poets in Palestine .So this research is aimed to manifest the image of the Jew in the vision of this poet and to stand on the features which this collection

has drawn about the occupied Jew , for the Jew is the criminal occupation and the one which is committed to a lot of crimes against the original people in their land Also it is intended to manifest the artificial and the stylical side of this image in the poems especially using Irony .The nature of this research nessicate us to depend on the analytical descriptive method through analyzing the image of the jew and discussing the features of this image .This research has resulted to many implications the most notable of them is that the poet has interested in drawing the image of the Jew who occupy Palestine and we can see variety in showing this image which is focused on the crimes of the occupation , his disrightness of this holy land ,and the religious side has an obvious effect in drawing the features of this image ,furthermore the poet uses irony to show the contradicted attitude of the Jewish for there is no difference between the one who wear the mask of the hawk which indicate ferocity and the one who wear the mask of the dove which indicate innocence .

The key words: The image of the Jew. Islamic poets. Occupied Jew

مقدمة

سعى اليهود منذ القدم إلى جعل شخصية اليهودي شخصية مميزة مختلفة عن الآخرين، فنجدهم تارة يصفون أنفسهم بشعب الله المختار، وتارة بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وهذه الصفات هي للتعالى على الجنس البشري الذي وجد - حسب معتقداتهم- خدمة لليهود فقط، لذلك سعوا إلى قلب الحقائق، وتزييف الوقائع خدمة لهذه الصورة التي رسموها في أذهانهم وسعوا لتثريبها عقول الشعوب وأفكارهم، وعندما جاء الاحتلال إلى فلسطين كان نابعا من هذا التفكير، وأنهم استولوا على أرض بلا شعب وهم من يستحقون هذه الأرض فقط، فالعرب كما جاء في قصة بلاد الضبع لـ (عاموز عوز) هم جمع غفير منتن ينقل بالفشاش والقمل، وتتبعث منه روائح منتنة. (شحات، 1986م، ص 24. وينظر أنور، دت، ص 11).

إن هذه الصورة التي رسمها المحتل لجنده وشعبه لم تنطل على شعبنا الفلسطيني وشعرائه؛ ذلك أن جرائم المحتل وفضاعة أعماله بحق الفلسطينيين كانت الصورة التي رسخت في نفوس الشعراء وعقولهم، فالموت ينتشر في كل الشوارع، والدماء تسيل في كل الأزقة التي أغلقتها حجارة البيوت المهدمة تحت وطأة جرافات الاحتلال، فكتب الشعراء قصائدهم من رحم المعاناة، ومن

بين الدموع والألم، فكانت صورة هذا المحتل حاضرة في تلك القصائد، وصفاته وملامحه تطل من بين الأسطر والعبارات، لترسم صورة المحتل الحقيقية التي مهما سعى المحتل لتزييفها وتغييرها، فكانت قصائدهم خير رسام لهذه الصورة. فقد "نشأت صورة "اليهودي" في ذهن "الفلسطيني" وتشكلت عبر مراحل تاريخية طويلة، فهي صورة سلبية عموماً، نشأت في التاريخ القديم من روح العنصرية أو عقدة التعالي في كتاب "التوراة". (مناصرة، 25 / 1 / 2018).

لقد كان للشعراء الإسلاميين في فلسطين دور مهم في فضح الاحتلال وبيان حقيقة وجهه القبيح للعالم، وللشعب الفلسطيني بخاصة، "وقد عبّر الشعر الفلسطيني - وما يزال - بصدق عن كل هذه الظروف والأوضاع التي مرّ بها الشعب الفلسطيني، وساهم بشكل فاعل في الحركة المقاومة للانتداب البريطاني وللاحتلال اليهودي من بعده." (عمار، 2008، ص 9) وكان الشاعر خالد سعيد أحد الشعراء الإسلاميين الفلسطينيين الذين تحملوا عبء نقل صورة المحتل وتوضيحها، لذلك أصدر الشاعر خالد سعيد ديوانه الشعري "حجر وشجر" ليضم مجموعة من القصائد الدينية والوطنية، وكان حريصاً على إبراز صورة اليهودي المحتل وذلك ليرسخ في عقول الناس هذه الصورة للمحتل، فهي الصورة الحقيقية التي لا يمكن لكل وسائل التجميل أن تغير حقيقتها، فكان اليهودي عنده غداراً جباناً مجرماً، لا فرق بين يمينه أو يساره، إلا في طريقة قتله للفلسطيني، ومصادرة أرضه، منكأً في رسم هذه الصورة على التاريخ الطويل لليهود، وعلى ما جاء في الكتب السماوية وبخاصة القرآن الكريم، ولم يغفل جانب السخرية التي وسمت بعض قصائده حين تحدث عن الشخصية اليهودية، بتصرفاتها وسلوكاتها بعيداً عن الصفات الجسدية التي تشترك بها الأجناس البشرية كافة، ذلك "أن الأدب قد كان له دور ريادي في ترسيخ مثل هذه الصور في أذهان الأفراد، إذ تسعى هذه الصور المختلفة، إلى إبراز الرؤية الإيجابية، أو السلبية، التي تتشكل لدى الأديب والمنظمة الاجتماعية التي ينتمي إليها حول الآخر". (زراري، 2013، ص 30)

مشكلة البحث وأسئلته

شكلت صورة اليهودي في الشعر العربي قضية مهمة، فحرص الشعراء على إبراز هذه الصورة في أشعارهم عند حديثهم عن قضايا تخص اليهود، أو تتعلق بهم، ومنهم شاعرنا خالد سعيد الذي رسم لليهودي صورة تناسب الواقع المعاش في فلسطين، لذا تكمن مشكلة البحث في تلك الصورة التي رسمها الشعراء الإسلاميون وبخاصة الشاعر خالد سعيد في ديوانه "حجر وشجر" لليهودي الذي احتل أرضاً ليست بأرضه وشتت أصحابها، ومارس بحقهم أبشع الجرائم، ويمكن لنا أن نحدد تلك المشكلة بسؤال رئيس ترفده بعض أسئلة توضيحية

-ما موقف الشاعر في ديوان حجر وشجر من اليهودي المحتل لفلسطين؟

-ما الصورة التي رسمها ديوان حجر وشجر لليهودي المحتل؟

-كيف ظهرت صورة هذا المحتل في الديوان؟

-ما الجوانب التي سعى الشاعر لإبرازها في صورة ذلك المحتل؟

أهمية الدراسة

بيان صورة اليهودي عند الشاعر خالد سعيد في ديوانه حجر وشجر، والوقوف على أبرز تفاصيل هذه الصورة، وبيان ملامحها التي جاءت عليها في الديوان.

أهداف الدراسة

- الوقوف على صورة اليهودي في ديوان حجر وشجر.
- بيان ملامح صورة اليهودي في ديوان حجر وشجر.
- الوقوف على عناصر صورة اليهودي في ديوان حجر وشجر.
- بيان الأسلوب الذي اتبعه الشاعر في الديوان لعرض صورة اليهودي.

حدود الدراسة

تكمن حدود هذه الدراسة في ديوان "حجر وشجر" للشاعر الإسلامي خالد سعيد، وبالأخص تلك القصائد التي ظهرت فيها صورة اليهودي.

الدراسات السابقة

زراري، سارة: **صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش - دراسة في نماذج، (2013):** عرضت هذه الدراسة لصورة الآخر في الأدب المقارن بشكل عام، سواء في الآداب العربية أم الأجنبية، إذ بينت ملامح صورة اليهودي في الأدب الأوربي، وصورة العرب في الأدب الإسرائيلي، وصورة اليهودي في الأدب الفلسطيني، ووقفت عند صورته عند محمود درويش، فظهرت صورة العدو، والسجان، والقاتل، وكذلك صورة المثالي.

رحماني، عبد الرزاق، خوشي أيوب: **صور المُحتل في شعر عبد العزيز الرنتيسي، (2020):** وقفت هذه الدراسة على أحد شعراء المقاومة في فلسطين، وهو الشاعر الشهيد عبد العزيز الرنتيسي الذي حرص في شعره على توضيح صور المُحتلين، وكشف الستر عنهم ويصفهم بصفات فيها من التشبيه والاستعارة والمجاز ويشبههم بالحيوانات في الغدر، والكيد، والمكر، والذنس ثم نراه يتكلم عن اليهود تهكماً وتارة يدعوهم إلى القتال وينذرهم بالحرب.

عبد الرحيم، رائد، قط ميساء: **صورة اليهود في شعر شرف الدين البوصيري (2015):** تناولت هذه الدراسة صورة الآخر في شعر البوصيري، ومنهم اليهود، إذ أكثر من الحديث عنهم في مدائحه، وفي قصيدته "المخرج المردود في الرد على النصارى واليهود"، وقدم لهم صوراً متعددة في شعره، وبخاصة الصور الدينية؛ إذا وقف البحث على حياة اليهود الدينية والاجتماعية، وموقفهم من الأنبياء، وأخلاقهم وصفاتهم.

الفيومي، سعيد محمد: صورة اليهودي في شعر سميح القاسم، (2001)، وقف البحث على صورة اليهودي في شعر سميح القاسم، فرسم الشاعر ملامح صورة اليهودي من خلال ممارساته بحق الشعب الفلسطيني، ووصف هذه الشخصية من خلال التناقض القائم بين اليهودي والفلسطيني.

منهج البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الذي يبحث عن الأشعار والأبيات التي فيها صورة اليهودي، ويصف ملامح هذه الصورة، ويحللها تحليلاً علمياً للوقوف على أبرز ملامحها.

التعريف بالشاعر وديوانه

ولد الشاعر خالد عبد القادر السعيد عام 1959 في بلدة كفر راعي بمحافظة جنين بفلسطين، ونشأ في أسرة ريفية متديّنة.. ولم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى حلت بفلسطين نكبة عام 1967، التي ما زالت مستمرة حتى هذه الأيام.

درس خالد في بلدته، وأكمل دراسته في مدرسة عرابية الثانوية، وحصل على الثانوية الأدبية عام 1978، والتحق بكلية الآداب بالجامعة الأردنية وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية بتفوق عام 1981، والماجستير في النحو العربي عام 1984 بتفوق أيضاً.

وفي أوائل عام 2006 رشحته الحركة الإسلامية في جنين لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني، التي أجريت في 2006/1/25 م، فكان ترتيبه الأول في محافظة جنين.

وفي 2006/6/29 م اعتقلته السلطات الإسرائيلية مع إخوانه أعضاء المجلس التشريعي عن الحركة الإسلامية في جنين واعتقلت معهم رئيس بلدية جنين. (يُنظر للمزيد حول الشاعر: جرار: 2007).

ديوان حجر وشجر

صدر هذا الديوان عام 1990، بعدد صفحات 110 من القطع المتوسط، وقدم له الأستاذ خالد أحمد مهنا، وقد احتوى الديوان على قرابة الأربعين قصيدة تنوعت موضوعاتها ما بين الجانب الديني والجانب الوطني وبخاصة قضية فلسطين، ورسم صورة للاحتلال الجاثم على صدرها منذ عام 1948م حتى اليوم.

صورة اليهودي في ديوان "حجر وشجر"

إن شخصية اليهودي شخصية معقدة الجوانب، يصعب التعرف عليها، لأنه يدخل في تركيبها عناصر شتى تجمعت في خلال عقود طويلة من الزمن، فقد عاش اليهودي ظروفاً شاذة بين الأمم

مما أكسبه صفات سيئة تنطوي على معنى عنصرى عقائدي، فاتخذ اسم (يهودي) معنى بغيضا بين الأمم؛ فالطائفة اليهودية متمردة منطوية على نفسها شديدة التعصب، متهمه بصلب المسيح، إضافة إلى اتصاف اليهود بالجشع وحب المال، وكما أن لفظ (إسرائيل)، التي يسمون بها دولتهم، هي لفظة تنطوي على عنصرية. (الفيومي، 2001، ص 191)، وعند النظر في ديوان "حجر وشجر" والتأمل فيه، نجد أن الشاعر قد وصف اليهود بأوصاف عدة، ورسم لهم صورة خاصة بهم تبعا لتاريخهم وحاضرهم، ويمكن لنا إجمال هذه الصورة في الآتي:

اليهودي الغدار

قد تكون صفة الغدر من أكثر الصفات التي لازمت اليهودي عبر تاريخهم، فهي صفة أصلية فيهم، فهم قد غدروا بأخيهم يوسف عليه السلام دون سبب إلا الحسد والغيرة من معاملة الأب لابنه، (عبد السلام، 2003، ص 267)، فالحسد قائم منذ الخليقة، اتصف به القدماء والمحدثون، ولكن اليهود تميزوا به عن غيرهم، فقديمهم وحديثهم فيه سواء. (عبد الرحيم، 2015، ص 2467). وفي عصرنا الحالي ارتكب اليهود أكبر جريمة خيانة في التاريخ بحق الشعب الفلسطيني، تمثلت في طرده من أرضه ووطنه، وإذا نظرنا للشاعر خالد سعيد في قصيدة "مؤتمر قمامة" نجده يصف اليهود بهذه الصفة، فهو يدعو للقضاء عليهم وطردهم من أرض فلسطين كما حصل في غزوة خيبر حين طردهم الرسول - عليه السلام - من أرض الجزيرة العربية، وذلك لأن الغدر طبع متجذر فيهم فقال: (سعيد، 1990، ص 57)

في	خيبر	لك	عبرة	ولقرب	عهديك	بالكرامه
فيهود	شعب	غادر	يطغي	وأيات	أمامه	

والله أعلن سيبعث جنده ويصب جامه

ويسومهم سوء العذاب منزلا بهم انتقامه

كفروا ورب العرش يسقيهم ويطعمهم طعامه

كفروا فكيف سيصدقون إذا حنيت اليوم الهامه

إن الشاعر يستلهم تاريخ اليهود ويعيد التذكير به؛ لتوضيح صفة الغدر التي رافقت اليهود، فهم قد غدروا بالله ودينه وبرسوله؛ فالله تعالى قد أطعمهم وأسقامهم، ومع ذلك فقد كفروا به ورفضوا الدين الذي بعثه مع أنبيائه، والشاعر يستغرب هنا ممن يثق بهؤلاء اليهود في عصرنا الحالي فهم قد غدوا مع رب العباد فكيف سيفنون بعهدهم مع العرب والفلسطينيين اليوم، ويستلهم قصة اليهود في خيبر يوم غدروا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وحاولوا قتله عن طريق السم.

اليهودي الجبان

لقد لخص الله تعالى صفة الجبن المتأصلة في اليهود في قوله تعالى: "لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۖ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۖ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" (الحشر: 14)، وهذه الصفة نجدها في رفضهم الدخول إلى الأرض المقدسة التي طلب الله منهم دخولها مع نبيهم - عليه السلام- فرفضوا ذلك جبنًا وخوفًا، (ينظر: الخالدي، 1989، ص 228 - 236).

وقد تحدث شاعرنا في ديوانه عن هذه الصفة ورسم لليهودي صفة من صفات كثيرة لازمتها وهي الجبن والخوف، وهي عنده ليست خوفًا وجبنًا من جيوش وحروب، بل هذا الجندي المدجج بالسلام والقتل يخاف من حذاء امرأة فلسطينية رفعته بوجهه بعد أن أمسكوا بابنها، فخلعت حذاءها وراحت تهزه بوجههم، فأرهبتهم بهذا الحذاء وتفوقت بحذاءها على كل أسلحتهم ورشاشاتهم، فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 65)

رفعت على جند اليهود حذاءها سبا وشتما ما أعز أداءها
قد أرعبت بحذاءها رشاشهم قد صوبوه فلم يهز رداءها
هذا الحذاء سلاح أم أبصرت نار المذلة أحرقت أحشاءها

لقد رسم الشاعر لليهودي صورة الإنسان الجبان شديد الخوف، فأى جندي هذا الذي يحمل كل أنواع الأسلحة ومع ذلك يخاف من حذاء امرأة عزلاء لا تحمل سلاحا سوى حذاءها؟ وذلك لأن صاحبة الحذاء صاحبة حق في أرضها ووطنها، وذاك الجندي اليهودي جبان لأنه يعيش فوق أرض سرقها من شعب دون حق، فكان صاحب الحق أقوى بحقه من كل أسلحة اليهود التي لم تجلب لهم الأمن.

وفي المقابل نرى صورة مخزية للعرب أمام اليهود، فهذا الشاعر الذي وصف الجندي اليهودي بالخوف من حذاء امرأة نراه يصف العرب وحكامهم بالخوف والجبن أمام اليهود، في حين نراهم أسودا على بعضهم البعض فقال: (سعيد، 1990، ص 97)

والعرب بعدك أصبحوا شيعا عيسن تغير على بني بكر
في الحرب بينهم أسد وعلى اليهود فكلنا ندري

لقد قصد الشاعر من هذا التصوير أن يذم العرب وفرقتهم، فاليهود المعروفون بالجبن والخوف وجدنا من أمة العرب من هو أكثر خوفا منهم، ذلك لأنهم فقدوا القوة التي تُستمد من الحق بالأرض واليقين بذلك، بل وصل الأمر لأبعد من ذلك حين وقف بعض العرب حراسا على اليهود، لذلك نجد الشاعر يطلب من أبطال الحجارة رجم حراس اليهود بأقصى أنواع الحجارة

(الصوان)، لأنهم جعلوا من أنفسهم حراسا لليهود ساهرين على راحتهم وأمنهم في حين أن اليهود ينامون مطمئنين لوجود مثل هؤلاء الحراس عليهم فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 33)

قسّم حجارتك التي أعدتها واخصص يهود العرب بالصوان
ويهود جند أمرون لحارس مطواع أمرهم بكل زمان
فهم الأبالسة اللنام وحاً- رس الأسلاك شرطي لهذا الجاني
هذا ينام وذاك في يقظاته وسواسه الخناس كالشيطان

وفي موضع آخر نجد الشاعر يصور حالة اليهود في الإعلام العربي قبل النكسة عام 1967م، حيث حرص الإعلام على تصوير اليهود بالصورة التاريخية المعهودة عنهم وأنهم جبناء أقلية لا يستطيعون الصمود أمام العرب وقوتهم إلا لحظات بسيطة، فالعرب أسود في الحروب يستطيعون إعادة قرطبة الأندلس لو أرادوا ذلك، ولكن بعد الحرب انكشفت الحقيقة أن هؤلاء الجبناء قليلي العدد قد هزموا الذين ادعوا أنهم أسود، فقال في هذا المشهد بسخرية واضحة: (سعيد، 1990، ص 44)

هم حفنة في البحر نلقبهم إذا كنا نريد

فتجوعي أسماك ذاك البحر والداعي "سعيد"

ومدى صواريخ العروبة وسط يافا أو يزيد

سنعيد قرطبة إذا شننا فموتي يا سدود

ماذا عساهم يفعلون ونحن في الهيجا أسود

أتراهم أخذوا ترابا لا يضير ولا يفيد

إن المشهد السابق يوحي بعظيم السخرية الممزوجة بالألم نتيجة انتصار اليهود على العرب جميعا، وفيها إشارة إلى الإذاعي الشهير أحمد سعيد الذي اشتهر بعبارته الشهيرة "تجوع يا سمك" كناية عن رمي اليهود في البحر ليصبحوا طعاما للسمك.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "واختلف الصوت" نجد الشاعر يسخر من الإعلام العربي ورجاله الذين اختلفت نظرتهم لليهود، فبعد أن كانوا حفنة أقلية في نظر الإعلام نجدهم بعد الحرب قد تحولوا إلى دولة عظمى ويقف خلفهم أمريكا، وكل الدول الغربية، والعرب في حالة من التفرق والتمزق فقال: (سعيد، 1990، ص 45)

وبدا مذبذب العرب منهم كما قد انفتح الوريد

وبدا يصرخ خلصة ويقول هذا ما نريد

قد جاءنا النبأ الموثوق والمصدق والأكيد

(ليس اليهود كما يظن البعض فالدنيا يهود)

(لسنا نقاتل دولة صغرى فأمرىكا تجود)

الغرب يعطي عدّة من روسيا تأتي الزنود

ثم يكمل المشهد الساخر المؤلم باعتراف العرب بحق اليهود بالوجود، وأنهم في هذه البلاد منذ التاريخ القديم، (ينظر رحمانى، 2020، ص 25) ويجب العيش معهم في أمان تضمنه الحدود، فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 45)

فلمّ التشنج والتطرف لليهود هنا وجود

فلتسألوا التاريخ يخبركم لديان جدود

"موشي" و"إسحاق" و"يعقوب" على هذا شهود

فلنحي كلّ حقه في العيش تضمنه الحدود

لقد حرص الشاعر في ديوانه على إبراز صورة اليهودي الجبان الذي يخاف من الحق وأهله وهذا ما شاهدناه في مشهد المرأة صاحبة الحذاء، ثم يتطرق بسخرية مؤلمة لتحول هؤلاء الجبناء إلى دولة قوية ليس بفضلهم بل بسبب تفرق العرب وتمزقهم وبدعم من حكومات العالم المختلفة، ثم تحول خطاب الإعلام الرسمي من وصفهم بالجبين والخوف إلى وصف أحقيتهم بالوجود وأنهم أصحاب حق وتاريخ في هذه الأرض.

اليهودي المجرم

أقام اليهود كيانهم على القتل والإجرام وطرد السكان من أرضهم، ولذلك شنوا حروباً على دول عدة ومنها فلسطين وذلك ليحققوا هدفهم وهو إقامة دولتهم على جثث وبقايا أهل الأرض الحقيقيين، فهم يريدون الأرض خالية من أهلها؛ ليتم لهم دعوة اليهود المشردين من كل العالم لأرض الميعاد، التي وعد الله بها نبيه إبراهيم -عليه السلام- ونسله من بعده، وأنها حق لهم، لأنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه على العالمين، معتمدين في ذلك على ما جاء في التوراة المحرفة. (عبد السلام، 2003، ص 263، داخ، 2011، ص 50).

لقد عرف عن اليهود حبهم الشديد لسفك الدماء وتاريخهم يشهد على ذلك، فهم اتخذوا من الإرهاب والقتل والتدمير سبيلاً، من أجل زرع أنفسهم في أرض فلسطين، حتى غدت أعمالهم الإجرامية التي اقترفوها، بحق أبناء الشعب الفلسطيني أبشع من الجرائم التي ارتكبت بحق البشر، على يد جنكيز خان وتيمور لينك. (قنيس، 1990، ص 114).

إن صورة اليهودي المجرم التي تسم اليهود عبر تاريخهم جاءت في ديوان "حجر وشجر" في أكثر من موضع ذلك أنها السمة الأبرز التي وسمت اليهود، وما زالت ترافقهم قديماً وحديثاً، فهو في قصيدة "كشاف على مفترق المؤامرات" يعدد مجموعة من الجرائم التي يقوم بها اليهود بحق الشعب الفلسطيني سواء النفي أو السجن أو القتل، فقال مخاطباً الفلسطيني الذي سيواجه كل هذه المصائب والجرائم من الاحتلال: (سعيد، 1990، ص 20)

قد يرون الحل في أن يبعدوك

فإذا اقتادوك منفيًا فأوقد بالحنين

نار برق وعود واختصر بُعد المنافي

واخترق عمر السنين

لن ينالوا الأمن إن هم قيدوك

لن يذوقوا السلم إن هم قتلوك

لن ينالوا الدفاع إن هم أبعدوك

فاحمد الله فإن الله خير الحاكمين

واعتصم بالله إن الله خير الفاتحين

فالاحتلال يضع الفلسطيني في خيارات متعددة؛ إما القتل وإما النفي وإما الإبعاد خارج الوطن، وهذا الأمر هو الذي فعله الاحتلال بحق الفلسطينيين.

وفي قصيدة "معالم 1" التي افتتح بها الشاعر ديوانه رسم الشاعر صورة واضحة لليهودي المجرم متعدد الجرائم، حيث القتل وسرقة الأرض والظلم، والشاعر لا يفرق بين اليهود حمائهم والصقور كما يحلو للبعض أن يسميهم، فهم عنده سواء متفقون على قتل الفلسطيني حيثما وجد، وما تقسيمات الصقور والحمام إلا تبادل في الأدوار بين الأحزاب اليهودية (رحماني، 2020، ص 27) فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 10)

لا تظن القوم بين صقور وحمام

فجميع القوم يا شعبي يهود

وجميع القوم يا شعبي جنود

كلهم سفاح شعبي

لا تسالم

لا تفرق بين شارون وحاييم

فالشاعر ينبه الشعب الفلسطيني إلى حقيقة اليهود، ويرفض تقسيمهم إلى صقور وحمائم، فهم جميعا في نظره جنود سفاحون، قتلة، يمارسون ساديتهم في تعذيب الشعب الفلسطيني وقتله، وإن اختلفت أسماؤهم ما بين شارون وحاييم. ثم يكمل الشاعر في قصيدته توضيح الفرق بين الصقور والحمائم ويكمل رسم الصورة التي أراد رسمها لهؤلاء القوم، فالعمل الإجرامي واحد، سلب للأرض، وقتل للشعب، ولكن الفرق بينهم أن الحمائم يمارسون جرائمهم وهو مبتسمون، فيما الصقور يقتلون ويسرقون والوجه قاتم، فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 10 - 11)

كل ما في الأمر أن ابن الحمائم

يسحق الشعب بحقد وتفاهم

يبلع الأرض بحقد ويساوم

يسلب الحق ووجه الظلم باسم

وصقور القوم تفني شعبنا

والوجه قاتم

وصقور القوم تفني أرضنا والحقد راسم

....

كلهم يقتلنا والحقد قائم

كلهم يبیطش والشعب يقاوم

كانت الأسطر الأخيرة تلخيصا للصورة بأكملها، فاليهود قتلة وبيطشون بشعبنا الذي لا يملك سوى المقاومة والصمود.

وفي قصيدة "أصحاب الفيل" نجد الشاعر يرسم اليهودي المجرم بحق التاريخ فيزوره ويشوه حقايقه، لذلك نراه يمارس الهدم بحق القباب والآثار محاولا طمس معالم التاريخ العربي الإسلامي في فلسطين، فقال: (سعيد، 1990، ص 28-29)

زورا وبهتانا يصادر أرضنا هدم القباب وزيف الآثارا
فإذا هدمتم بيتنا فحجارة الأو - عار نبنيتها فتصبح دارا
وإذا هدمتم سورنا وجدارنا فحجارة الحارات قمن جدارا

إن اليهودي في الأبيات السابقة مَزور ومجرم وكاذب، يصادر الأرض ويهدم المعالم الإسلامية، ومع ذلك نجد الإصرار والتحدي عند الفلسطيني، فإذا هدم البيوت بنوا غيرها، وأن دمروا الجدران قامت كل الحجارة جدارا بدلا منها.

اليهودي أخو القروود وعابد البقر

لقد ذكر القرآن الكريم أن اليهود قد عصوا الله تعالى، واحتالوا على أوامره ونواهيه، فكانت النتيجة أن جعلهم الله قرده خاسئين، (ينظر عبد الرحيم، 2015، ص 2448)، فقال في ذلك: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ". وهذه الصورة اقترنت باليهود عبر تاريخهم الطويل، فذكرتها عائشة - رضي الله عنها - أمام النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك تحقيرا لهم، وتقليلًا من شأنهم.

ومن الصفات الأخرى التي وُصِفَ بها اليهود أنهم عباد البقر، حيث عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري بعد ذهاب موسى - عليه السلام - لميقات ربه، (ينظر ابن كثير 1937، ص 530 - 536) وهذا ما خلّده القرآن الكريم في آياته فقال تعالى: "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ" (سورة البقرة: 92)

إن هذه الصورة لليهود التي ذكرها القرآن الكريم قد شاركها الشاعر في ديوان "حجر وشجر" حيث أعاد رسمها لليهودي وأنهم لإخوة للقروود وعباد للبقر، بل هم عين النجاسة والقدارة، فقال ذلك: (سعيد، 1990، ص: 23-24)

أيها الأخوة للقرد

وعباد البقر

أنتم عين النجاسه

لو يزيل الطهر شيء عن مياه البحر كنتم

أنتم ذاك القدر.

أن هذه الصورة صورة مستمدة من الدين والقرآن الكريم، لذلك جاءت ألفاظها مستمدة من آيات القرآن الكريم الذي تحدث عن هؤلاء القوم، وقد أعاد الشاعر هذه الأوصاف لليهود في قصيدة أخرى "نحن يا قدس رجعنا"؛ إذا بين أن أبناء فلسطين سيعلون فوق اليهود، وأنهم يعلمون جرائمهم وأفعالهم، ثم يصفهم بأنهم أبناء الأفاعي وصفتهم نقض العهود، فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 104)

اليهود	أفاعيل	عن	يتلو	زال	ما	شعبنا
القرود	إخوان	فوق	سيعلو	أن	يدي	وهو
العهود	نقض	دأبهم	الأفاعي	أبناء		إن

إن لفظ الأفاعي في الشعر المقاومة رمزاً للإسرائيليين الذين اغتصبوا أرض فلسطين ولطخواها بسمومهم وقسوتهم وتدميرهم . وسم الأفعى كان من طبعها كما ظلم الإسرائيليين واعتدائهم كان من طبعهم (أبو شاور، 2003، ص 235). وقد استعمل الشاعر لفظ الأفاعي في هذا الموضوع ليصور لنا الشبه بين اليهود والأفعى؛ فالملمس ناعم، ولكن الفعل موت وسم، وكذلك المحتل يظهر بأنه يريد الوفاق والاتفاق ثم تراه ينقضه ويتخلى عنه، فالعهد عندهم وسيلة مؤقتة للحصول على مكسب آخر. (ينظر: الخولي، 1998 م، ص 153).

اليهودي الملعون

لعن الله اليهود في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بسبب أفعالهم التي فعلوها وتجروهم على الله تعالى، فسورة المائدة وحدها فيها أربع آيات تلعن اليهود، وهذا الأمر ذكره الشاعر في ديوانه فقال في ذلك: (سعيد، 1990، ص 46)

وسنظهر من جبل الكرمل

من زهر الفيجن والليمون

في كل سنابل بيت المقدس أغنية تلعن صهيون.

نلاحظ أن الشاعر جعل اليهود ملعونين من كل سنابل القدس، أي إن القدس بكل مكوناتها تلعن اليهود المحتلين وترفض وجودهم وتلعن للجميع أن اليهود ملعونون.

وبعد ذلك نجد الشاعر يكمل هذه اللعنة بأن الشعب الفلسطيني قادر على اجتثاث اليهود وكل ما يتعلق بهم من رموز ومعتقدات باطلة، ومنها شجر العرقد الذي جاء فيه أنه شجر اليهود، فقال (سعيد، 1990، ص 47)

أتون زحوفاً مؤمنة

تجتث الغرقد والطاعون

لجأ الشاعر في الأسطر السابقة إلى الرموز الدينية التي تخص اليهود وهي شجرة الغرقد، فقد جعل اجتناث شجرة الغرقد التي تعرف بشجرة اليهود رمزا من رموز الانتصار عليهم، فهذه الشجرة هي التي تحمي اليهود في الملحمة التي ستقوم قبل يوم القيامة، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". ثم شببهم الشاعر بالطاعون الذي يسبب كل شر وسوء ويقتل ويفتك بالناس.

النتائج والخاتمة

- وفي نهاية هذا البحث يمكن لنا أن نسجل أبرز النتائج التي توصل لها هذا البحث كالاتي:
- حرص الشاعر خالد السعيد على إبراز صورة اليهودي في ديوانه "حجر وشجر"
 - تنوعت الصورة التي رسمها الشاعر في ديوانه لليهودي لتشمل اليهودي المجرم والغادر وناقض العهد وعابد العجل والملعون.
 - كانت الصورة التي رسمها ديوان "حجر وشجر" لليهودي صورة سلبية لأنها تتعلق بسارقي الأرض وقاتلي الإنسان.
 - استخدم الشاعر عددا من الرموز الدينية الخاصة باليهودي مثل شجر الغرقد.
 - كانت بعض الصور التي رسمها الشاعر لليهودي مستمدة من الدين الإسلامي وبالأخص من القرآن الكريم.
 - استعمل الشاعر أسلوب السخرية في توضيح صورة اليهودي ونظرة العرب لليهود.

قائمة المراجع:

1. أبو الفداء ابن كثير، (1937)، تفسير القرآن الكريم، القاهرة: مطبعة مصطفى محمد.
2. سعدي أبو شاور، (2003)، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط. 2. عمان: وزارة الثقافة.
3. أحمد فؤاد أنور، (د.ت.)، تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء إلى 11 سبتمبر، ط. 1، الراية للنشر والإعلام.
4. حسني جرار، (7 / تموز / 2007)، خالد السعيد، موقع رابطة أدباء الشام، تاريخ الزيارة 10 / 9 / 2021م.

5. صلاح الخالدي، (1987)، الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، تاريخ وسمات ومصير، دمشق: دار القلم، سلسلة من كنوز القرآن.
6. محمد علي الخولي، (1998)، اليهود من كتابهم، عمان (الأردن): دار الفلاح للنشر والتوزيع.
7. خولة دايع، (2011)، صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين، الأردن: جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة.
8. عبد الرزاق رحمانى، (2020)، صور المُحتل في شعر عبد العزيز الرنتيسي، مجلة مقاليد، مج 6، ع 3.
9. سارة زراري، (2013)، صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش - دراسة في نماذج، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي- رسالة ماجستير غير منشورة.
10. خالد سعيد، (1990)، ديوان حجر وشجر، د. ط.
11. أنطون شحلت، (1986)، شخصية العربي في الأدب العبري، عمان: دار ابن رشد.
12. رائد عبد الرحيم، وميساء قط، (2015)، صورة اليهود في شعر شرف الدين البوصيري، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 29 (12).
13. محمد عبد السلام، (2003)، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
14. ياسر محمد عمار، (2008)، ملامح الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، جامعة الملك عبد العزيز - كلية المعلمين، مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية، العدد التاسع.
15. سعيد محمد الفيومي، (2001)، صورة اليهودي في شعر سميح القاسم، مصر: جامعة المنيا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 42، ع 1.
16. أكرم جميل قنيس، (1990)، بدوي الجبل: شاعر العربية والعرب، دمشق: دار المعرفة.
17. عز الدين منصور، (25 / 1 / 2001م)، صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية- العدد: 5768.